The Image of Jerusalem in Modern Algerian Poetry

Şakir Lokmane
Universite Larbi Ben M Hidi, Algeria
Jerusalem2017@ju.edu.jo
Arrival date: 05-07-2018 Acceptance date: 24-12-2018

Abstract

Algerian poetry has always been interested in the question of Palestine in general and the sanctity of Jerusalem in particular ever since the occupation. The French colonialism of Algeria bring the Algerian people closer to the struggles of the Palestinian people. As a result, Algerian poets have written extensively in their poems abouth Jerusalem. Such Algerian poems abouth Jerusalem are the focus of this study. Algerian poets express their emetions for the bloodshed that befalls Palestinians, and they call for unity to achieve freedom and liberation from the colonizer, a dream that combines both of the Algerians and Palestinians.

Keywords : Jerusalem in Algerian poetry, The impact of French colonialism, call for unity

ورة القدس في الشعر الجزائري الحديث

الدكتور: شاكر لقمان
جامعة أم البواقي . الجزائر.

لقد ساير الشعر الجزائري قضية فلسطين بشكل عام وقدسية القدس بشكل خاص منذ بداية حَبْك خيوط المؤامرة ضد هذه البقعة الطاهرة، إذ لم يمنع الاستعمار الفرنسي الذي كان جاثما على صدر الأمة الجزائرية من المشاركة الوجدانية لإخوانهم الفلسطينيين انطلاقا من إيمانهم القوي بحقيقة ما يربطهم بالمشرق العربي عامة وبفلسطين وبيت المقدس بخاصة؛ فنظم الشاعر الجزائري أبياتا تحمل مشاعره الفياضة وتألمه لكل قطرة دم تراق على أرض فلسطين ولكل أنة تصدر من مهج أبنائها، فسجلوا هذه العَبَرات أشعارا تدعو إلى لم الصف وكفكفة الدموع والسير قدما نحو الحرية التي لطالما تغنى بها الشعبان الجزائري والفلسطيني على حد سواء بسبب ما اكتووا به من ويلات المستعمر البغيض .

لقد واكب الأدب الجزائري الحديث بشقيه النثري والشعري قضايا الأمة العربية والإسلامية عن كثب في كل مراحلها، وعلى جميع الأصعدة؛ السياسية منها والاجتماعية والثقافية والحضارية.

وكانت قضية فلسطين على رأس هذه القضايا جميعا باعتبارها رمزا مقدسا يسمو عن كل الرموز، وحرمة لا تقبل المساس بأي شكل من الأشكال.

و تأكيدا لذلك نورد كلاما لمؤرخ الجزائر أبي القاسم سعد الله في كتابه "دراسات في الأدب الجزائري الحديث" إذ يقول: (ولعل أهم قضية عربية احتفى بها الأدب الجزائري هي قضية فلسطين، فقد نوه بها الكتاب في الصحافة الوطنية، وتغنى بها الشعراء في مناسبا متعددة مما جعلها شغل الرأي العام . فكانت حملات التطوع لتحرير فلسطين، وفتح مشاريع التبرعات لمساعدة الثوار،.....وقد اشترك في الدعوة إليها، والكتابة عنها كبار أدباء الجزائر ومفكروها أمثال : ابن باديس، والمدني والإبراهيمي، والعقبي، ومحمد العد، و سحنون فكتب عنها شيخ أدباء الجزائر محمد البشير

الإبراهيمي سلسلة من المقالات الافتتاحية في (البصائر) كانت نفيض عاطفة وحمية، دعا فيها الشعب الجزائري إلى مزيد من البذل ومشاركة الشعب العربي هذه القضية القومية، وهاجم فيها بعض الأوضاع الرجعية في الشرق آنذاك . وخلد الشعراء شهداء ثورة 1936، وأبطال معركة القسطل، كما أهاجوا العواطف أثناء حرب 1948، وهاجموا التقسيم ونادوا بالثأر، وتوعدوا اليهود . كل ذلك في شعر ينبض بالحب لفلسطين والنقمة على أعدائها، والحزن على جزء غال من الوطن العربي تهدده الضياع، وتقاسمته الأهواء).

ثم يضمن المؤرخ كلامه بأبيات للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة من قصيدة بلغت أبياتها خمسين بيتا، نظَمها الشاعر جوابا عن رسالة شعرية وجها إليه الشاعر الجزائري الشيخ أحمد سحنون، وقد نشرت في العدد عشرين(20) من جريدة البصائر سنة 1948 حين يقول :[1]

قل لابن صهيونَ اغتَرَرْتَ فلا تَجُرْ إن ابن يعرب ناهض للثار

سترى أمانيك التي شـــيدْتَها منهارةً مع ركنك المنهار

القدس لابن القدس لا لمـشرد متصهـين ومهاجر غـدار

ولما تبادرت فكرة تقسيم فلسطين إلى دولتين؛ عربية ويهودية، مع تحديد حول القدس منطقة دولية بموجب تقرير لجنتين؛ لجنة بيل 1937، ولجنة وودهيد 1938، هاتان اللجنتان اللتان تم تعينهما على يد الحكومة البريطانية .

وبموجب التقريرين رُسّمت خطة تقسيم فلسطين بقرار الجمعية العامة التابعة لهيئة الأمم المتحدة تحت رقم 181، والصادر بتاريخ : 29 نوفمبر 1947.

إثر ذلك الخبر المشؤوم الذي نزل كالصاعقة على العرب والمسلمين، والقاضي بإفراد 55 بالمائة من أرض فلسطين للدولة اليهودية، و45 بالمائة لدولة الفلسطينية، نظَم الشاعر محمد العيد قصيدة بعنوان " تقسيم فلسطين" التي يقول في أولها :[2]

يا قسمة القدس أنت ضيزى لم يعدل القاسمون فيك

وفيها يعتبر الشاعر هذه القسمة غير العادلة (ضيزى)؛ لأن القاسمين اقتطعوا للدولة اليهودية أكبر نسبة على حساب الفلسطينيين، وكانت حصة اليهود على وسط الشريط البحري، من " أسدود" إلى " حيفا" تقريبا ماعدا "يافا"، علما أن الأكثرية العربية تمثل نسبة 65 بالمائة مقابل 33 بالمائة من اليهود.

ونجد الشاعر الجزائري في هذه القصيدة يؤكد عروبة القدس الأزلية، ولا يشاركهم في ذلك شريك، ذلك أن علاقة الإسلام بالقدس قديمة، تبدأ بيوم أُسريَ بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة، ومنه أعرج إلى السماوات العلى، منذ ذلك اليوم أصبح الإيمان بالإسراء جزءاً من عقيدة المسلمين، وحينما فرضت الصلاة على المسلمين كان بيت المقدس قبلة المسلمين، وعلى الرغم من دسائس المعتدين الطامعين ومكائد الصهاينة المغرضين، إلا أن علاقة العربي المسلم باتت وطيدة أكثر:[3]

القدس للعرب من زمان لن يقبلوا فيه من شريك

قد سامه الأجنبي خسفا وهدَّ من ركنه السـميك

ثم يلتفت إلى بريطانيا التي كانت راعية لهذا التقسيم الجائر والمجحف، فيقول:[4]

يا (لندرا) لو درى بنونا لم يأمنوا الغدر من بنيك

---

[1] . محمد العيد آل خليفة، ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، 2010، ص 229.

[2]. محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 286.

[3] . نفسه، ص 286.

[4]. نفسه، ص286.

إخال شعب اليهود سرًّا سباك بالعسجد السبيك
أهكذا تَفصلُ القضايا بحكمها لجنةُ المليك؟
قد دلَّ طغيانُ أنكلترا على فناءٍ لها وشيك

وقد كان موضوع التقسيم غير العادل برعاية لجنة " سيرجون وودهيد" المكلفة بالعمل على تنفيذ مقترحات لجنة " بيل"، كما عُهد إليها ترسيمُ حدود فاصلة بين المنطقتين؛ العربية واليهودية المقترحتين، وكذلك الأراضي المزمع بقاؤها تحت الانتداب البريطاني، مما أثار حفيظة محمد العيد مرة أخرى فنظم يقول:[5]

يا لجنة التقسيم حِدْت عن الهدى وسخرْتِ منه فبُؤْتِ بالإنكار
القبلةُ الأولى التي استصغَرْتِها هي للعروبة قبلةُ الأنظار

ويستطرد في الحديث إلى أن يقول:[6]

ردوا جميل الشرق وارعَوا عهده يا معشر الحلفاء والأنصار
أ فبعدَ تحرير الرقيق جميعه ترضون رقَّ سلائل الأحرار
سيسجل التاريخ كل صغيرة وكبيرة بوثائق الأسفار

كما لم ينس الشاعر ما تقوم به بريطانيا منذ وعد بلفور في: 02نوفمبر 1917، تلك الرسالة التي أرسلها " آرتر جيمس بلفور "إلى اللورد" وولتر دي روتشيلد " يشير فيها إلى تأييد الحكومة البريطانية إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين الذين كانوا يمثلون نسبة لا تزيد عن 5 بالمائة من مجموع عدد السكان، فحرك هدا الأمر الشاعر فأنشأ من قصيدة عنوانها " بني التاميز " قائلا:[7]

بني (التاميز) قد جُرتم كثيرا فهل لكم عند الجَوْر ازدجار
أفي أسواقكم نصَبا وغَصَبا تسوم (القبلةَ) الأولى التّجار
إخال (القبلة) انسجرتْ دماءً كما للبحر باللجج انسجار
تشاجرت العمومة في ذراها ولولاكم لما وقع الشجار
غدا العبريُّ للعربي خصما بها وكلاهما لأخيه جار
ترون لها سوى العربي أهلا وتأبى التربُ فيها والحجار
فليس لها بلا فمه لسان وليس لها بلا فمه نِجار
ألمْ يؤلمكم حرمٌ مباح وشعب يستجير ولا يُجار
ونكبةُ أوجهٍ بالكشف غُرٍّ لمثل جمالها صُنع العِجار[8]
كم احتجّتْ لِظلمكم وضجَّتْ ولكن في قلوبكم انحجار
إذنْ فالحربُ للعربي دأبٌ وهل تَخفى (البسوس) أو (الفِجار)
شددتُمْ قهره فعَلا انفجارا وعقبى شدة القهر انفجار

ولما ألمَّ بفلسطين نكبة سنة 1948 المتمثلة في نجاح الصهيونية . بدعم من الاحتلال (الانتداب) البريطاني . في السيطرة على القسم الأكبر من فلسطين، وإعلان قيام دولة إسرائيل الذي رافقته طرد الفلسطينيين من أراضيهم ومن مساكنهم، من حوالي عشرين مدينة ونحو أربعمائة قرية، وتم الاستيلاء عليها من قبل الصهاينة بغير وجه حق فكان لتلك النكبة أثرُها على الشاعر محمد العيد، ترجمت مشاعرَه قصيدةٌ بعنوان " فلسطين العزيزة"، يدعو فيها الفلسطينيين إلى الصمود؛لأن عين الله ترعاها وتحفظها، فقال مطمئنا إياها بأنها ليست وحدها، فحواليها إخوان لبوا النداء، وجاءوا بعد استصراخهم مقدمين النفس والنفيس :[9]

فلسطين العزيزة لا تراعي فعين الله راصدة تراعي

---

[5] . محمد العيد، الديوان، ص 339.
[6] . نفسه، ص 339.
[7] . نفسه، ص 339.
[8] . العجار : ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها، ثم تجلبب فوقه بجلبابها .والعجار في العامية الجزائرية هو البرقع الذي تستعمله المرأة لستر وجهها
[9] . محمد العيد، الديوان، ص303.

وحولك من بني عدنان جندٌ كثير العدّ يزأر كالسبـاع
إذا استصْرَخْتِه للحرب لبى وخفّ إليك من كل البقـاع
يجود بكل مرتخَص وغالي ليدفع عنك غارات الضباع

ثم يذكرها بابتلائها بصهاينة جياع، والتاريخ يشهد بأنهم قدموا إلى فلسطين حفاة، عراة، جبناء، لا يقوون على خوض المعارك، وينفي عنهم أي مكرمة، فيقول:[10]

بُليت بهم صهاينةً جياعا فسحقا للصهاينة الجيـــاع
ستكشف عنهم الهيجاء سترا وترميهم بكل فتى شجـــاع
وكيف يصادف العبري نجحا وما أخلاقه غير الخـــداع
قد اشتهر اليهود بكل قطر بأن طباعهم شر الطبـــاع

ثم يعرج الشاعر على ذكر غرورهم بعد أن استولوا على جزء (أو أجزاء) من أرض القدس سلبا ونهبا، ظانين منهم بأنهم قادرون، بل ومؤهلون على بلوغ مراميهم، فيقول:

قد اغترَّ اليهود بما أصابوا بأرض القدس من بعض القلاع
متى كان اليهود جنود حرب وكفؤا للأعارب في الصـراع
وبعد أن هبَّ العرب في جيش عسكري ضد الاحتلال اليهودي لفلسطين قال الشاعر يصف الجيش العربي:[11]
فلسطين العزيزة لا تخافـي فإن العُرب هبّوا للدفـاع
بجيش مظلم كالليل غطـى حِيَالَكِ كل سهل أو يفـاع
وما أسيافه إلا نجـــوم رجوم لليهود بلا نـزاع
يرابط في ثغورك مستعـدا على الأُهْبات للأمْر المطاع
سيهجم من مراكزه عليهـم هجوم الآكلين على القصاع
ويتركهم على الغبراء صرعى وما أنصارهم غير النواعـي

فالقارئ لهذه الأبيات الأخيرة يحس بعبارات الأمان والاطمئنان في المدد الذي سيصل ويحرر فلسطين من ربقة الصهاينة المتغطرسين .

كما أن قرار التقسيم المشؤوم كان أيضا له كبير الأثر على مشاعر شاعر جزائري آخر، وهو الشيخ أحمد سحنون، ففي قصيدة عنونها بـ " فلسطين "، ونشرت في العدد الثامن، بتاريخ : 22 صفر، عام 1367هـ بالبصائر يظهر نفسا مكلومة وعاطفة حرى تجاه ما أصاب الفلسطينيين بعد القرار، حاثا إياهم على الصمود غير مبالين بسياسة العدوان؛ لأن خلفهم إخوانا رابضين لصد العدوان وتطهير الأرض من دنس العجول:[12]

أ مواطئ أقدام النبيين والرسـل وموطنَ نسل الوحي بورك من نسـل
فداك العدا لا تقبلي قسمة العـدا وللموت سيري لا تبيتي على دخـل
ولا تحفلي بالناس إن جارَحكمهم عليك فإن الله يحكم بالعـــدل
وخلفك جيشٌ من بني العلم رابض ليبعد عن أرض الهدى عابدي العِجل

إلى أن يقول :

لقد أقسموا أن لا تنام جفونهـم وقد بات مسلوبَ الكرى بلدُ الرسل

ثم ينتقل إلى قادة الإسلام وزعماء الشرق وأغنياء المسلمين والشعراء كذلك يدعوهم إلى رص الصفوف، كل من موقعه وشحذ العزائم والهمم، فيقول:[13]

يا قادة الإسلام هبوا لتنقـــذوا مهاجر إبراهيم بالنفس والأهـل
ويا زعماء الشرق ضموا صفوفكم ليصبح هذا الشرق مجتمع الشمل

---

[10] . نفسه، ص 303.
[11] . محمد العيد آل خليفة، ص 303، 304.
[12]. أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون، الديوان الأول، ط2، 2007، منشورات الحبر، الجزائر، ص 120.
[13] . أحمد سحنون، الديوان، ص120، 121.

ويا أغنياء المسلمين تسابقوا..... إلى البذل والإيثار ذي ساعة البذل

و يا شعراء الضاد حثوا شعوبكم بشعرٍ يداويها من الجبن والبخل

وكذلك الأمر في قصيدة أخرى، عنوانها " فلسطين إنا أجبنا النداء "، أين خص القدس ومصر و سوريا وعمان بقوله :[14]

إلى " القدس " نطرد منه اليهود إلى "مصر" ندفع عنها العدا

إلى " سوريا "كي نفك الحصار عن أرضها ونجيب النـــدا

"لعمَّان" إذْ صمدتْ للعـــدا وحقّ "لعمّان" أن تصمـدا

هلُمَّ لنستأصل الظالميـــن ومَنْ خالفَ الظلم أو أيّـدا

ونمحو من الأرض حكم الطغاة وما وطّد الظلم أو شيّـدا

أما شاعر الثورة مفدي زكريا فشعره في القضية الفلسطينية غزير؛ فمن ذلك ما نظَمه مخاطبا الحكام ليحرك مشاعرهم، ويذكرهم بمقدسات هذه الأرض الطاهرة، وفيها بيت المقدس مسرى النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول في قصيدة، عنوانها "فلسطين على الصليب " بمناسبة الذكرى الثالثة عشرة لتقسيم فلسطين :[15]

أناديك في الصرصر العاتية وبين قواصفها الذاريه

فلسطين...يا مهبط الأنبيآ ويا قبلة العرب الثانيه

و يا حجة الله في أرضـه و يا هِبة الأزل الساميه

و يا قدسا باعـــه آدم كما باع جنته العاليه

وحط ابن(صهيون) أنذاله بأرضك، آمرة ناهيه

ثم ينتقل إلى تعداد قدسية المكان عبر الزمان الذي مافتئ الصهاينة يدنسونه وينجسونه فيقول فيه :[16]

فيا لك من معبد نجســوا حناياه بالسوءة الباديـه

ويا لك من قبلة كدســوا بمحرابها الجيف الباليـه

و يا لك من حرم آمـــن جياعُ ابن آوى بها عاويه

وبنبرة النادم على ما فرط في حق فلسطين الأبية من قبل أهلها، يقول :[17]

فلسطين لا تيأسي إننـــي سأصلح في الشرق أخطائيه

لئن خنت فيما مضى إنـــه يوبّخني اليوم وجدانيـه

وأهملت قدسي نهب الذئـاب فألبسني الخزي إهماليـه

وأعرضت عن صارخ من نداك وطاوعت في الكيد شيطانيه

كما كان للقدس الشريف في قلب الشاعر مكانة عظمى كما في قلوب العرب والمسلمين جميعا، لذلك يقول في قصيدة معنونة بـ" رسالة الشعر في الدنيا المقدسة " كان الشاعر قد ألقاها في مهرجان الشعر بدمشق يوم 23سبتمبر (أيلول)1961 محاولا لفت ال،ظار إلى عروبة القدس الشريف وأصله المكين وجرحه الدفين، دون أن ينسى الربط بين وضع بيت المقدس وبين ثورة الجزائر الكبرى ملهمة الشعوب :[18]

قدس العروبة . والآيات شاهدة . ما انفك نغمره حبا طوايانـــا

والجرح ما انفك في أكبادنا غدقا يسيل من دمه المسفوك عطفانا

عز العروبة في أعطاف ثورتنـا إن تسندوا حربَنا تَرفعْ لكم شانا

---

[14]. نفسه، ص 124، 125.

[15] . مفدي زكريا، ديوان اللهب المقدس، موفم للنشر، الرغاية، الجزائر دط، 2007، ص279

[16] . مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص279

[17]. نفسه، ص 285.

[18]. نفسه، ص 250.

فباركوا وطنا يغزو (ثمانيـــة) نشوانَ...كالمارد العملاق جذلانا

وثورة لشعوب الأرض ملهمـــة أحيتْ لواقحُها بيضا وسُمرانا

تعنو لوثبتها الدنيا، وتَكْبرهـــا وتُفهِم الكونَ بالرشاش معنانـا

سما بها الوعي ..لا ضعف..ولا نزق وسادها العقل، تفكيرا ورجحانا

وأما الشاعر عبد الرحمن العقون فلم يتأخر هو الآخر على مساندة إخوانه الفلسطينيين ومشاركتهم آلامهم التي كُبّدوها بفضل التقسيم ومحاواة النيل من القدس الشريف، فيقول [19]:

أرقت حزنا ومنك البال مضطرب والقلب خاض بحارا لا يجاريها

نعم فكيف وحال القدس مزعجة لكل حر فأحرى من يعانيـها

وفلسطين تئن وهي شاكيـــة من حر فتنة أهوال تقاسيـها

يا غاديا ليهود الشرق قل لهـم هل تملكن العبيد مع مواليـها

فقد زعمتم وكان الزعم دأبكـم إذْ أنكم أمة تهوى مخازيـها

قد يزعمون بأن القدس منشؤهم وما دروا إنما الإسلام يحميها

يا أمة القدس لا يحزنِك مطمحهم فإن للقدس ربا سوف يحميها

يكفيكم المسجد الأقصى وقبلتنا ألا ولى افتخارا وقد أوذيتم فيـها

آهٍ على أمة القدس التي بسطت للجار إحسانها وسلْ مجرميها

من عصبة كفرتْ بنعمة عظمتْ منها عليها ولم تنظر لماضيها

وفي الختام يجب التأكيد على أن ارتباط الجزائريين بالفلسطينيين وبمقدساتهم روحيا ودينيا كان انطلاقا من إيماننهم بقدسية هذه البقعة الطاهرة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن ما عاناه ويعانيه إخوانهم يذكّرهم ببشاعة الاستعمار وفظاعة الاستدمار الذي يهدف . فيما يهدف . إلى طمس الهويات ونهب الثروات.

ولم يكن الأديب الجزائري بمعزل عن هذه الأوضاع التي يقاسيها الفلسطينيون داخل أراضيهم وخارجها، وما هذه القصائد إلا دليل منهم على المعايشة الوجدانية والروحية والدينية والحضارية التي يشاركون بها إخوانهم .

[19]. عبد الرحمن بن العقون .

References

[1]. Muhammed al-aylAli Halife, *Divanu Muhammed al-Ayl Ali Halife*, Daru'l-Hüda 2007 Al-Cezair

[2]. Ahmad Sahnun, *Divanu eş-Şeyh Ahmad Sahnun*, Manşurat al-Hıbr, 2007 al-Cezair.

[3]. Müfdi Zekariyya, *Divanu al-Lehebü'l-Mukaddes*, 2007 al-Cezair